

فهاد الراوي

# القطار الليالي

مجموعة قصص

منشورات مكتبة التحرير  
بغداد

سأحتفظ بهذا الكتاب على نفسي

القطار  
الليالي

فهد الراوي

# القطار الليالي

مجموعة قصص

منشورات مكتبة التحرير  
بغداد

## رجل ما ٠٠ دون التقاء

اشتبه الرجل المنزل في غرفته بأنه سيموت ٠٠  
وكان صراخ الاطفال اللاهين يصل اليه من أسفل  
المنزل ٠٠ وتخيل النسوة يتنقلن . مشغولات  
بأعمالهن اليومية ، دون ان يعلم الجميع بان رجلا ،  
في غرفة عليا ، يموت وحيدا .

أراد ان يزحف من سريره الى الباب ، فيفتحه ،  
ويهتف طالبا المعونة . ولم يتجرأ على الخروج من  
فراشه لان الحركة شقت عليه ، وتصور انه اذا  
صرخ فان روحه ستنفصل عنه !

كان النزول الذي يرقد الرجل في غرفة عليا منه  
واسعا وقديما . وجميع غرفه مليئة بعوائل مهاجرة  
مضنكة .

— ماذا سيقدمون لي ؟

التمس الرجل عواطف منقطعة وتذكر زوجته  
وأطفاله الثلاثة الذين قتلوا في نزاع قبليسي منذ  
سنوات ، وود لو بقي أحدهم الى جانبه ٠٠٠ لقد

حقوق الطبع محفوظة

هرب من قريته والتجأ الى المدينة ، واشتغل عامل  
تفريغ في احدى العلاوي ، وكانت أجوره زهيدة  
لم تمكنه من الزواج ثانية .

( انفتح الباب وظهرت امرأة يلتصق بها ثلاثة  
اطفال .. تسلفت ببطء كي لا توقظه ، ومشى  
الاطفال على اصابعهم ووقفوا بجانب السرير  
ينظرون الى الرجل ويتفحصونه .

ابتسم الرجل ومد يده الى اقرب الاطفال وداعب  
رأسه .. كانوا جميعا ساكنين ينظرون اليه بتمعن .  
استقام في سريره ولمس المرأة .. نظر في عينيها  
ومرر يده على جسدها وهمس :

— عدتم اخيرا ايها الاعزاء .

ولم يجبه أحد .

— أنتم متعبون .. تعالوا وناموا بجانبني ..

واندفع الى طرف السرير .

— تعالوا .

ولم يتحركوا ..

— زوجتي العزيزة الا تسمعين؟ وانتم يا أطفال؟  
أحتد صارخا :

— تعالوا وناموا ..

استدارت الزوجة الى الباب ، وتبعها اطفالها ،  
( وخرجوا )

— تعالوا ناموا . انتم متعبون . انتم متعبون .

كانت الغرفة مظلمة ، والرجل على سريره يتتبع  
صدى كلماته الاخيرة ... ومن خلف الباب ارتفعت  
ضحكة رعناء .

## - افراح -

اقترب خادم المستشفى من المريضة الثرية الجميلة ، وهي تفقد وعيها في الطابق الثاني من المستشفى ، وكانت آية فتاة جميلة حلما مستحيلا في حياته . . . انحنى فوقها وقبلها . انفرجت عيناها وصرخت .

ركض الممرضون والخدم ودخلوا الغرفة .  
كانت المريضة قد فقدت وعيها .

وكانت اجساد كثيرة منحنية فوق خادم مستشفى تحطم في الحديقة عندما قفز مذعورا من نافذة في الطابق الثاني .

## اشراقات

نظر الشاب النحيل المتصلب الى فوهات في الارض يسيل منها ماء . . . وكانت الغرف المتينة التي شاهدها من قبل ، مهدمة ، وحجارتها مبعثرة على السفح الصغير المقعر . . . التحم بصره بالحجارة المتناثرة وانفرج فمه حزنا .

كان يحس بالظما يشقق جوف فمه واراد ان ينحني فوق الفوهات :

- هذه المياه لم تكن تتدفق سابقا ، لا بد انها باردة في هذه الجبال . .

توقفت اصابعه فوق المياه والتمت على راحة يده ونهض . . . ابتعد عن المياه وراح ينظر الى الغرف التي دخلها سابقا . . . لم يبق منها شيء . . . ( كانوا أحد عشر مقاتلا يحرسون القاعدة عندما انتضت الفانتوم الاسرائيلية واستشهد الحراس جميعهم ) برزت بقع من الدماء تشع في زوايا الحجارة . . . اقترب منها ولم يجد شيئا . . . برزت في أماكن

مقابلة ••• كف عن الذهاب وانحسدر قليلا ••  
( لقد فجرت القنابل المياه من الارض ) •

انحسر طير من اعلى السنفح ومر فوق القاعدة  
هابطاً ثم عبر دون ان يقف •• تابعه •• ثم وضع  
يديه في جيبي قمصته وبدأ يرتجف •

كانت الارض لينة مبللة بالمطر الجديد في بداية  
الشتاء •• علقت بحذائيه كومة من الطين وتكاثرت  
وعندما انحرف الى جانب صخري ضرب حذائيه  
وتحرر ثقله •

عندما وصل أول مرة الى القاعدة كان الرجال  
يتحركون وكانت القاعدة تبدو وكأنها تتحرك معهم  
وكان مقاتلو الدورة الجديدة تفيض عواطفهم  
وتتوحد مع القاعدة والافق والسلاح •

كانت المدينة بعيدة • وكان السلام الشخصي  
مضمونا فيها ، ولكن هنا ، ثمة هواجس وحركة  
أخرى • كانت المدينة تستيقظ أمام التخيل اشد  
سطوعا ، وتفاصيل دقيقة ، ثم تغيم وتتلاشى امام  
الحجارة الحقيقية والغرف المنحوتة في الجبل •• هنا  
يتكور الرجل على الارض محدقا في خرائط ومدن  
مفقودة • مدن بعيدة تصبح نقاطا على الورق •  
ويتذكر بعض الوجوه ويحس بالحرارة والصدق •

— لم يبق شيء في هذه القاعدة • آلامي تتحرك

في كل مكان وتذكر فجأة ان ثمة اشياء تملأ المكان ••  
هناك الدماء الخفية التي تناثرت من اجساد  
الشهداء •• وربما بقيت بعض الايدي تحت هذه  
الصخور أو قطع اخرى من اجسامهم • ونظر مرة  
اخرى الى المياه المتدفقة وهي تتحول ، ثم تتصلب  
الارض •

أحس برأسه ثقيلًا وأمسك جبهته المتهبة •  
نزل رويدا بين الصخور مأخوذاً ، وغاصت قدمه في  
المياه المتفجرة •• كانت برودة الماء ترجف قدمه  
وحرارة الدم تغلي في رأسه •

ترك القاعدة ركضا • وهو ينفق قدمه نفقات  
متتالية •

## - العنكبوت -

امتدت كتلة سمراء كثيفة من خلف الزجاج •

أحس الرجل الراقدا انه يختنق • صرخ :

- اغلقوا الابواب • الغبار سيقتلني •

هرعت أمراؤه الحامل الى سريريه وهمست :

- انها مغلقة •

تباطأ صوته وهو يعلق نظرتيه بالبطن المنتفخة :

- عسى ان يكون صبيا • • حافظي عليه ليدوم  
اسمي •

تشنج الرجل الباحث عن الخلود ومات •

لحظت المرأة موته • تعاملت على نفسها وفتحت

الباب لتطلب نجدة • ثم سقطت على الارض •

كانت دماؤها تنزف والغبار المتدفق يتراكم  
فوقها •

## - آه -

اتكأ الموظف على منضدته الخشبية القديمة :

ثلاثون سنة فقط في الوظيفة ! ثلاثون فقط !

الموظفون الشباب ينتقلون في القاعة الواسعة ،

يتعاشون النظر اليه ، وكانت الاوراق المكومة فوق

منضدته قد رفعت في الصباح •

- تقاعد • كتاب شكر • مطالعات جديسة •

أضابير • رائحة الاوراق العذبة • الصراخ كان

ضحكا • مقهى • مقهى • يقولون ان الراتب سينقص

دينارا واحدا • لماذا تعمل من اجل دينار ؟ تكوم

الموظفون عليه فجأة وامتدت عشرات الايدي تضغط

على يده الرخوة اللاهية •

ولم يجد بدا من الخروج وهو يمسك ورقة

احالته على التقاعد •

كانت مناضد متهرئة تنخلع عن جسده واوراق

صفراء تتطاير من رأسه •

كان يبتعد ويبتعد • • ثم تلاشى •



كانوا يرتجفون وهم ينظرون اليه •  
انسحب الشرطي الى منضدة يشع فوقها ضياء  
مقلبا الدفاتر • كانت الدفاتر ممزقة ، بيضاء  
متسخة لم يكتب فيها اي شيء • رفعها ورماها الى  
منضدتهم • ثم خرج •

### — نمور من ورق —

كان الهاربون مجتمعين حول مائدة في زاوية  
معتمة ثم أخرجوا دفاتر قديمة من جيوبهم وبدأوا  
يقرأون توار يخهم كانت التواريخ تصطدم مع  
بعضها وتحدث جلبة ، حين فتح الباب وانتصب  
شرطي أخذ يحدق فيهم •

دس الهاربون دفاترهم خفية تحت المناضد ، ثم  
ادخلوها بهدوء الى جيوبهم •

تقدم الشرطي سائلا :

— اين دفاتركم ؟

تناثرت اجوبتهم :

— ليست لدينا دفاتر • • أية دفاتر تقصد ؟

— ماهها • وماذا خبأتم تحت المنضدة عندما  
دخلت ؟ لقد شاهدتكم ! مد يده وتلمس جيب أحدهم  
ثم انتزع دفتره واستدار الى الجميع واخذ دفاترهم •

— لم لا تغادرين انت المكان ؟  
التقطت حقيبتها اليدوية وهي ترتجف • فأتممت :  
— انك تصدعين رأسي وطالما تفاضيت عن  
الأعيبك الخبيثة • سأعاقبك بشدة اذا تعرضت لي  
مجددا •

( لم أدر حقا كيف اعاقبها • فلم يسبق لي ان  
عاقبت امرأة ، ان ما يهمني هو التخلص منها وحسب )  
تركت الفتاة الغرفة ، ثم الشركة •  
( ينبغي ان اتبعها لابصر ما ستفعل • النساء  
يستطعن التوازن في النهاية ) •

بدت من بعيد وهي تستدير الى النهر • فأسرعت  
خلفها • وقفت على الحافة ثم اسقطت حقيبتها  
وقفزت كان الماء سريعا •

تساءلت وانا انظر اليها وهي تخرج رأسها من  
المياه :

( اذا تركتها تموت ، سأخلص من تنغيصها لي ) •  
ولم أدر اي دافع اهوج جعلني أففز نحوها • فقد  
ازداد كرهني لها عندما أبصرت عينيها الجزعتين •  
حاذيتها وضربتها بقبضة يدي على مؤخرة  
رأسها فأصبحت لينة • سحبتها واستطعت رفعها الى  
الجرف •

## — الاختفاء —

فتحت عينيها وهي تبتسم لي بمقت •  
ملأتني سخرية مشفقة وأنا احدق في وجهها •  
ارتفع صوتها ساخطا :  
— اترك هذا المكان •

لم أبه بهتافها وتناولت جريدة وأخذت أقرأ •  
( كانت تعتقد انني رمز عذابها ، نتيجة ملابسات  
أفقدتها حبيبها ، وجسدت لها انني السبب ، ادركت  
هذا الامر ، الا انه لم يثرني على توضيح موقفني ،  
فالمسألة لا تعنيني اطلاقا ، وبالتالي لا تهمني  
حالاتها ) •

— غادر الغرفة والا أثرت حولك فضيحة •  
كانت قد تركت كرسيها ووقفت أمامي •  
طلويت الجريدة ونهضت حدقت في عينيها بقسوة  
وقلت :

وانتهت الى رجفة انبعثت من جسدي . كان  
الهواء يضرب ملابسي المبللة . وكانت الفتاة غائبة  
عن الوعي .

( يبدو ان ضربتي كانت قوية ) .

علقت حقيبتها في ذراعي وحملتتها الى الطريق  
العام .

أوقفت سيارة اجرة ونقلتها الى شقتي . وعندما  
اقفلت الباب غمرني السلام . خلعت ملابستها  
وارقدتها على سريري . تأملت جسدها العاري  
( استطيع الانتقام منها الآن انتقاما شقيقا حاسما )  
ولم اغتبط لهذا التصور السهل فغطيتها بدثار  
ثقيل وخرجت . وحين عدت كانت قد فتحت عينها  
وصرخت :

— ما الذي جاء بك الى هنا ؟

قلت : انها شقتي .

انزلت اصابعها على جسدها من تحت الدثار ثم  
لولت دون ان تجرأ على الخروج من الفراش .

— ماذا فعلت بي ؟ اين ملابسي ؟

— ستجف . لقد انقذتك من الفرق .

— الفرق ؟؟

تساءلت باستغراب ثم انقبض وجهها :

— هات ملابسي .

سألتها بسخرية :

— هل ستنتحرين من جديد ؟

لم تجب .

احضرت لها ملابستها وكانت تقارب الجفاف  
رمىتها على الفراش وتركت الغرفة .

كنت واقفا في الممر انظر الى الارض المتسخة  
بالبلل . ومرت الفتاة بجانبني ثم صفقت الباب .

دلفت الى غرفة النوم والقيت نظرة على سريري  
ثم مسست ، محموما ، الدفء الذي خلفه جسدها  
العاري على فراشي .

انني أشعرها بحبي مثرقيا اقترابها مني ، وعندما  
أتأكد من عاطفتها ، اثور غاضبا على خيانتني •  
لانني بلا عواطف ( أنا والسيدة معا •

— اخبريني • هل سنلتقي فيما بعد ؟  
— لا ادري سأرحل •  
— سأتبعك اينما ذهبت • سنلتقي هناك •  
— لا لن اراك •

( انني أدمر عاطفتها • لهذا تقذفني خارجها ) •  
— ستكون أيا ما جديدة لنا •  
— سأفر اذا تبعنتني لن أدعك تراني •  
— يا صغيرتي المجنونة •  
انها تذهب دون ان تبترسم ، كي تؤكد عزمها •

كان الهواء اللافح يتدفق من الشباك الموارب :  
دفعت الشباك بقدمي واغلقتها •

هذا الهواء الخانق يمدد السيدة في ذهني الى  
اجزاء منتفخة ثم يغيبها •

السيدة لقد ترسيت في الرأس وأصبحت مرآة  
من الداخل تلوح للعينين بأنفها الدقيق وعينيها  
السوداوين التركيتين •

— كيف تعوم هذه التفصيلات اللينة منفردة عن  
السيدة التي مضت ؟ انها احداث منسية •

## — القوس —

السيدة • السيدة •

انها تتشبث في الذاكرة ، وتهبط وئيدة تدخل  
في الاعصاب • لم أعد اميز ما اذا كانت قد ذهبت  
تماما ، انها تظهر فجأة من الماضي ، كأنها ستبقى  
دائما ، ثم تغيب من جديد •

كنت مسترخيا في الغرفة الظليلة أحرق في ورقة  
ملتصقة بالارض •

( ان الحماسة للافعال تفقد حيويتها عندما نتبين  
ابتدال هذه الافعال وبطلانها: الوضع العمومي يدمر  
افعالنا اليومية ) لم تكن السيدة قد فارقتني الا منذ  
فترة قصيرة ، ورغم احساسني بنشوة تدخلني ، الا  
ان عذاب علاقتي بها يترسخ • عندما املتألي تماما  
تفتحت مسؤوليتي ازاء العاطفة • وكنت اهرب من  
أية مسؤولية ، لذا انكرت ، وعاقبت العاطفة لكونها  
تحمل خضوعا • ان وحدتي وحريتي ينبغي الاتمسك  
وانا الذي أقرر متى تبدأ علاقتي ومتى تنتهي :

السيدة • انني اعشقها بتوجس •

انني اطفئ الان في ذاكرتي • تغيب السيدة  
( في تلك اللحظة لم اتذكر ان السيدة كانت موجودة )  
ان قلقي يكمن هنا : لماذا أخشى منح عاطفتي تماما  
لامرأة ما وبمسؤولية تامة ؟

ان القلق يغلق نفسه بعد انتهاء العلاقة •

السيدة انها تبتعث وجودها من عدم الغرفة  
وتجلس الى جانب السرير • فأمد يدي : المس كفها  
وجانب بطنها ، وبطن فخذها ويعوم جسدي في  
حرارته فأغلق عيني واطرد السيدة بدفعات غاضبة  
محتدة • • ويغيب جسدها جزءا جزءا • • الا انها  
تبقى مع ذلك في الغرفة فارضة وجودها على ارادتي  
الرخوة • وتبقى السيدة الطافية تحضر وتغيب  
بتصميم كسول بطيء • انني انخلع من جسدي  
متصفرا في قمة رأسي وارقب ذلك الشيء الذي  
تركني ليحيا مع السيدة بوجود تائق وغزير •

— انه سعيد منفصل عن العالم •

لكنني مخنوق بألمي وجسدي يتحطم •

انني مدين لك ، فقد علمتني اشياء كثيرة كنت  
اكتشفها بدون ان احسمها • واحيانا يملأني الندم  
لانني تركتك ترحلين غير أن قلع الالم في زمن محدد  
أجدي من تركه ينتشر في الجسم الى الابد •

الزمن يتركني •

انني اتدلى في صحراء جافة محرقسة بالشمس  
القدرة • ( لكي أنجو أو أحافظ على توازني على  
ان أفر دائما من المكان الذي يعتاد ) •  
نهضت واتجهت مسرعا الى غرفة صديقي • كان  
راقدا في سريره يقرأ كتابا •

رقدت على السرير الاخر في الغرفة : سألني  
بصوته المتعب اللامبالي :  
— كيف هي السيدة ؟

( نظرت الى وجه السيدة ولم أجرو على لمس يدها :  
أصبحت علاقتنا الان واضحة ) •

— نحن نقول النساء متشابهات • ثم نستثنى  
واحدة دائما •

تقلص جسده النحيل الطويل وجلس فوق  
الفراش •

— يمكنك ان تركز الى فتاة واحدة ؟ الم تقل اننا  
نحتاج الى اكثر من عاطفة الى عدة فتيات لنفقد  
عاطفتنا كلها •

هنا تكمن حقيقة هربنا من الفتاة الواحدة •  
وعدم التورط في علاقة نهائية معها • قلت :

— عاطفتنا ليست كبيرة بل صغيرة جدا الى حد  
نشك في وجودها لذا نحتاج الى عدة فتيات ليؤكدنها

ان العاطفة عندما تؤكد وجودها تكشف نفسها  
وتقبل التملك .

— نحن بحاجة الى عواطف تنقذنا من تاريخنا  
الدموي .

( كانت السيدة قد ذكرت في مرة سابقة انها لم  
تعد تعرف كيف تواجه حاضرها ومستقبلها وانها  
ياثسة من وضعها ولا تستطيع البقاء متوازنة في  
وضع اجتماعي وسياسي يناقض تكوينها ويحاصرها  
كانت تتوقع — ربما — ان تزوجها ، لكنني كنت  
مبعدا الزواج عن رأسي . وكنت أوجل مباهج  
وحياتي الى حين خروجي من البلاد . وراقتني فكرة  
ان نرحل معا واتزوجها هناك، لكنني لم أقل لها ذلك .  
كان رأسي من ضرورة أفعالي قد خفف حماسي  
ورجائي .

لذا لم أدع عواطفني تلتهب وتلحقها .

كنت أحس بالطمأنينة المطلقة عندما اكون  
بجانب السيدة . فهي مليئة بالحماسة والامل . كنت  
أتيقن انها تشبع عمقا بعيدا معنوا في داخلي ) .

كنا جالسين ذات امسية في مقهى . قالت :

— ان ما نفقده لا يعود . لكن ينبغي ألا نفقد كل  
كل شيء .

— اننا خارج الاحداث .

وبخنتني . وضربتني على كتفي ضربة رقيقة .

— انني اعرف رأسك .

كنت أحاول تيقينها من رأسي ، ومن ثم اسحبها  
الى رأس مماثل يفضي بها الى عيشة تقارب عيشتي .  
— لا جدوى من التغيير . ان جديتنا تجعلنا خارج  
الاشياء .

— أقوى ! أقوى !

مطت الكلمات بنفها استهزاء .

كنت أود لو احيطها وأقبلها وأقول لها ايتها  
الصغيرة دعي عنك هذه الحماسات الغاطئة .

— لسنا اغبياء يا صغيرتي . لقد تجاوزتنا زمن  
اغماض العينين والاندفاع الى الهاوية . ان العديد  
من الاغلام ترتكبها بحماسة ازام اقتناعات متمايلة

انها لا تفقد املها في الامكانيات المجهولة .

وانتهت الى انني اخوض معها طريقا خطيرا في  
الحديث . ان قناعة المرأة جذرية . وعلي ان ابعد هذا  
الحديث بحديث آخر لكي لا أجعل التناقض يبدو .

نظرت الى وجهها الوادع بشغف .

( الام ستمضي علاقتنا ؟ كان هذا التخوف ينتزع  
احلامي جميعها وكنت أطيع به كلما تبادر ، وكان  
رعي يتأهب لسماعه من الفتاة نفسها ) .

- في النهاية تكتشف انه لم يتبق لنا شيء . ولم يكن لنا شيء . ان هذه النتيجة تفرغ حماسنا وفرحنا وحاضرنا . وان الشيء الوحيد الذي نحفظ به في هذا العالم هو تقاؤنا وصفاؤنا

( اية حيلة مفضوحة نبرر بها هامشيتنا ) .

- لا يبعث الامل سوى النضال .

كنت أتوقع ان تلقي علي درسا في وجوب النضال فعاجلتها بسؤال موقف .

- اعتقد انك تأخرت في العودة .

نظرت في ساعتها ثم نهضنا ومشينا بهمل .

- لا ادري لم اخترتك انت من بين كل اولئك الرجال . حقا . تساءلت ( لم أختارتني ؟ ) .

( انه بؤس مغلق لها ان تختارني انا ) .

وأحسست بنذاتي تطعنني بسمها فكيف لا أنقذ هذه المرأة العظيمة .

كنت أحس بالقنوط حين افكر بالزواج حين افكر بالزواج وكان عذابي يتوسع .

( لم تذكر لي تسلط حبها لي ، بل سمعت عنه ما ملاني فخرا ) .

هل يمكن ان تنفها ونغرب عن بعضنا ؟

وأحسست ان وهمي سيتبدد . وانني سألقى من جديد خارج العالم فامتزجت رغباتي مع قنوطي في القبول . قلت لها لاقنمها بوضع لا يفقد طمأنينتي وحضوري الدائم لديها :

- من الخير الا نفقد الامل . وسيحدد المستقبل شكله فيما بعد .

- انك تلقي نفسك في الوهم . عليك ان تدرك حاضرك لتكتشف مستقبلك .

انني امقت اللغات التبشيرية ، ايتها السيدة ، لكنني اصممت علي مضض . ماذا يجدي تنويرك في كل شيء . ان معارضتي لكل ما لا يوافقني مع امرأة سيديني في النهاية كتلة محشوة بالكلمات لا غير .

ان رجلا يظهر من اتجاه ، وتظهر امرأة من اتجاه آخر ، فيلتقيان فجأة ، دون ان يكون تاريخهما متهيأ لهما ذلك . ويشعران انهما يجب ان يرتبطا . ويبدأ تاريخ موحد يسوقهما وينفي تاريخيهما المنفردين .

لقد كان تاريخي معزولا . أو هذا ما كنت الح على تصوره ويبدو لي كأنه حقيقة وسط الخراب الذي كنت أعيشه وكنت موقنا ان انفرادي كان اختياريًا رغم احساسني بعبء وضرورة تبديله .

واذكر ما حدث بعد توثيق المعرفة بيننا . انني انتشيت وانا امارس لعبة اغرائها ، لقد كانت تنفتح

لي انفتاحا كاملا ، واخذت ارقب احتواءه سالي .  
كنت مسرورا اذ كشفت لي حقائق كنت اشك  
بوجودها في اعادة علاقتي مع العالم بعد ان كنت  
مقررا ان عبثا مطلقا يحتوي كل فعل نمarse او  
نتلقى به فعلا من الخارج .

كانت الحماسة التي تواجهنني بها السيدة تهز  
يأسي المتعمد . وتوقظني على اسئلة حاسمة .

— انك تقول ان العالم باطل . لأوافقك . من  
خلال شروطه التي تعيشها هنا . الا يتبدل العالم في  
شروط أخرى . ليست شروطه مختلفة في مكان  
آخر ؟ قد يكون . لكنني لا استطيع رؤيته ب كله من  
هنا الا من خلال شروطه الحالية التي أعيشها .

— عليك ان تنسف حياتك .

— هذا ما لا استطيعه . انني محكوم . ولذلك  
انتظر ان تبدل الشروط نفسها لكي اتبدل .

اسكتني من ذراعي واحسست بنشوة خائفة .

— لم لا تساهم انت بالتغيير . ان كل تغيير يجيء  
من خارجك يقيقك في الوم .

نظرت الى انفها الدقيق وعينيها السوداء  
وساقها البديعتين . واحسست ان قنوطي يدفعني  
للاستخفاف من حماسها فصمت .

ان عجز الارادة يدفع للتبرير . وانني ابعد  
مساهماتي وافترض ادوارا مستحيلة تجعلني اعيش  
في وهما زمتا غير محدد .

ملأتني الحماسة وانا أرى السيدة تتحرك نحوي  
دائما . ان وجودها يخلص وجودي . كان اهتمامها  
بي وبأفعالي ومشاريعي محيرا لي . اذ كنت أنا  
شخصيا لا اهتم بها مثلها . وختيت من ذلك الاهتمام  
فلم أعتد ان اهتم بمسائلي ولا ان يهتم بها شخص  
آخر وكنت أقبل اوضاعي الحياتية كما توجد ولا  
افكر بمستقبلها ولا اسعى الى تبديلها . وان كنت  
اشعر بالنسخت دائما عليها و ( اقرر ) ضرورة  
تغييرها .

— لقد أصبحت تمثالها .

وسخرت من تفكيري الذي التوى واحال الاخلاص  
الى استعمال .

ان انطباعاتي تتناقض .

( كان قميص السيدة مفتوحا من الاعلى وكان  
بإمكانني رؤية استدارة ثدييها واحسست برغبة  
لان ادخل يدي وامسهما : ولم اجرؤ ) .

وتبدل صوتها : أصبح عميقا مرتجفا .

— سنذهب سوية .





وأقسمت لها انه هناك • وطبعاً لم يكن موجوداً  
في مرسومه • وكانت تعرف ذلك •  
وتأملت اضطرابي الحرج وحاولت ادراك ما  
تفكر به •

الا ان المفاجأة افسدت علي التفكير •

لم أقل لها انها هي التي دعنتني وهي التي وضعتني  
في المفاجأة • ولم أعد أعرف ما أجيب به •

( انها تترك تفكيرها يتوالى بفضبه • ولم أستطع  
الجزم انها تختبرني : انني ابدو لها غمراً معدوم  
التجربة ، لا يعرف كيف يخدع الفتيات بل كل ما  
يطمح له آماله عواطفهن نحوه • واحسست بمرارة  
من سلوكها ، وانفصلاً يقضي على الحماسات التي  
بثتها في داخلي ) •

السيدة تستيقظ من غفلتها ووهمها وترى  
الفراغ يحيق بها • ربما لا تريد تلويث علاقات  
القلب فالجنس يخلق أيداً قرفه من بعضها وعواطف  
مستحيلة التواصل • وفسرت لماذا ثارت وهي التي  
دعنتني الى جسدها • لكن ايها السيدة • العواطف  
كاسنة في الجسد في هواء خارجه لقد نبهتني السيدة  
الى ضرورة الجسد بدعواتها المتكررة • لكنها رفضت  
الاذعان في لحظة التحقيق • وثارت علي لا تنسي  
سأخرجها من مطقوسها التي كرس لها وضعها •

واكتشفت ان علاقتنا العظيمة انقلبت الى لعبة يخفق  
أحدنا في المضي الى نهايتها •

سالتني السيدة :

— هل تحبني ؟

انتابتنني قوة مفاجئة فكذبت بمهل :

— نعم •

ثم انهار تماسكي • لماذا اكذب عليها ؟ لكنها  
احسنت بيرودة صوتي • فهتفت بياس •

— سأسافر •

شعرت بفرح صامت لقرارها • فدفعتها لتوثيقه  
وتصميمه :

— انه خلاصك الحقيقي •

ووضعت أمامها بتصميم وغد ، كافة الامكانيات  
اليأسه التي تشدها بالارض والبشر • وكشفت  
لها بمواربة خبيثة انني ذلك الرجل الذي لا يعتمد  
عليه ولا يمكنه تقرير اي خلاص لانسان آخر •  
لذلك لم افاجأ حين اعلنت لي انها سترحل • وطلبت  
منها ان تدون لي عنوانها لاكتب اليها الى ان يمكنني  
اللقاء بها :

— لن تجدني •

قالت لي صديقتها :

سافرت اليوم • ذهبت الى المطار لتوديعها وكان  
آخر ما قالته لي ان أبلغك تحياتها وحبها •

كنت وحيدا • فأحسست بمكانها الفارغ  
وبوجودها الخفي يلامسني ويدخل الى اعصابي  
ودمي •

وأحسست بحزن حقيقي يغزوني ببطء • وبذلك  
الراحة المعوكة التي شعرت بها بعد تخلصي منها  
تحال الى تعذيب لخياراتي ومواقفي الزائفة المدلّسة •

اننا نعيش بفظاظة حياة ناقصة متوحشة بزيغها  
اللائق • فتيات • فتيات • انهن اليأس الذي ينساق  
اليه اولئك الرجال الذين فقدوا شيئا من تماسكهم  
وتنظيمهم •

لقد عاد وجود السيدة يحثني على التماسك •  
انني لم أعد أصلح لشيء ايتها المضيعة • لم أعد  
عندما كنت فتيا • كانت تهزني بطولات مهووسة  
وآمال عميقة • لكنني الان بعيد عن كل شيء •

ايتها السيدة • ايتها السيدة • لا تتعدي • اني  
أعبدك • السيدة تفر من ذهني • لم استطع ايقافها  
وأعود الى وحدتي التي اريد الخروج منها •

انني لا انتهي الى اي شيء • متحرر من وجودي

الصفاء يتوفر لي • لكنه يفقدني الحركة ويسجنني  
في السكون السيدة • آه لو كنت هنا • لتبدلت • لقد  
كنت اجد انتمائي • لكنك تركتني معلقا • كنت  
قد هزرت رقادي الطويل • معادلة :

اذا اتجهت العواطف احاديا فجميع العلاقات الاتية  
ستفرغ من صميمتها • وتصبح الذاكرة آلة لترقيم  
الفتيات •

كانت حركاتنا محددة ومعلومة تكشف نهايتها  
مسبقا • ايتها السيدة • انني اكتشف افعالي المدمرة  
وفي اي كهوف خالية نمضي الى مجاهيل مبتدلة •  
انني اختنق • • • اختنق • • •

لوح ساعي البريد برسالة أمام عيني • ثم  
وضعها على الطاولة •

( رسالة من الجبهة )

قفزت يدي عليها • قرأتها بمجلة وأعدتها ببطء:  
— وصل الى خلاصة •

السيدة اثبتت كنية بقميصها وتنورتها  
الايضيين ونفتني من الاشياء • انها صامتة •  
تستجوبني بعينها النفاذتين •  
انفجرت بالسيدة • • •

( هل صحيح ما كتبه ؟ لا ادري • • ربما غلبته

حماسة خلاصة • لكنه وضع جديد لم يمر بنا • لو  
كان مشابها لوضع معلوم لاستطعت كشفه وتقديره)  
لقد هبت في الحماسة • واضيء ارتقائي الممل  
لعالم جديد •

— سأذهب وسأعرف كل شيء •

ادخلت الرسالة المطوية في جيبتي •

حلم يقفز من اغوار سحيقة ليصيب فكرنا : من  
كوبا والهند الصينية وأفريقيا وأمريكا الجنوبية :  
هذا العالم يرتبط ويظهر دفعة واحدة يتحرك  
نحونا •

بدأت اتحرك نحو مكتب المنظمة في مدينتنا •

قلت للرجل الذي ظهر من بين قامات الشباب •

— وصلت منه رسالة •

كان المسؤول فتيا يميل شعره الى الصفرة •  
اشار الي فجلست • وانسحب الرجال الى غرف  
وممرات جانبية •

— اردت معرفة مكانه ؟ •

— انه في عمان •

— ماذا يفعل هناك ؟ •

— نسب الى الجهاز الاعلامي •

— ظننت انه في القواعد مع المقاتلين • •  
— ليس شرطاً ان يقاتل • كل يسود في دوره في  
الثورة •

— وماذا يقدم في الجهاز الاعلامي ؟ سألت بريية  
خافتة •

كان الشاب يقرأ جرذا حساسيا • لم يجب •  
كانت الكلمات الآتية منه تدوخني باحلام جديدة  
( انهم رائعون • حياة مغامرة لا تقفل ) •

حدقت بوجه الفتى المنحني وقلت •

— اطلب الالتحاق •

رفع وجهه ليحدد جدية كلامي فأكدت :

— ينبغي ان اذهب الى الجبهة •

— اذا كنت مصمما ، سندبر لك ذلك •

قلت في لهفة : متى ؟

أجاب : متى شئت •

اللهفة الغامضة تترسخ في تصميمي وتجعلني  
انتشي واغيب من مكاني •

— لعلنا حلمنا بخلاصنا • اننا نحققه •

كانت المدينة منفصلة عني • لم أعد اشعر

بثقلها • وتلك العلاقات التي طالما جعلتها مخفية ،  
لتأجيلي حياتي ، نقضتها جميعا ، مرة واحدة ،  
وشعرت بارتياح لكوني تحررت من ارتباطات كنت  
مقسورا على اقامتها • الدائرة تتوضح بعد خروجي  
منها • ان اللعبة ستستمر ، والذين بداخلها يدعون  
صراعاتهم الصامتة وغياهم غير المحسوس • ان  
اللعبة لا تنتهي • • • لكنهم لا يملكون ما يؤكدون  
به وجودهم الا الصراع • اذن فلعبتهم لن تنتهي  
وسيضطر كل طرف الى اسقاط الاخر باستمرار  
داخل الدائرة ، ولن يتاح لهم ان يخرجوا منها الى  
الحرية والحب •

— انها حياة دامية بليدة • فالرغبات المحاذرة في  
الحياة ستنقلنا الى الفراغ حيث نطفو بلا أفعال ولا  
مستقبل ولا ثورة • وطالما كان الانسان صفرا ليس  
له وجود ، فكل شيء باطل •

السيدة • انهم يطاردونها في العرقات • انها  
تعرف ما سيصيبها لو امسكوا بها • آه ايتها السيدة  
لو نكف معا وانقذك منهم • سأنسفهم جميعا •

لكن السيدة تطير وتنعم بسلامتها في مدينة اخرى  
بعيدة •

— سنزودك برسالة وتسافر • انهم يعتمدون  
على ثقتنا بك •

كان المكتب هادئا وباردا •

( يجب ان تأتي ) •

لقد خلفتنا الصراعات وحيدتين ، لا نؤمن بالماضي  
ولا بأية رابطة للقناعات • لذا كانت دعوتنا للرحيل •

الحرية تغري •

ترك المكتب هارعا بلهفة •

— سأترك هذا المكان المسمم • سأذهب الى الجبهة كنت  
فرحا انتقل من مكان الى آخر • وتذكرت الشركة التي  
اعمل فيها • ان ارتياحي يتضاعف عندما سأترك  
وظيفتي ، تلك الوظيفة القذرة التي ارغمت عليها  
لاتدبر مصروفاتي • سأخلص من نظام مدمر يقنن  
افعالي وآيامي ، وينهي حريتي •

رفعت حقيبتي المغطاة بالخبار • ومسحتها بتأن •  
ثم وضعتها يهدوء فوق كرسي •

كان مسؤول المكتب يضرب على الآلة الطابعة  
اسما مستعارا لي • أخرج البطاقة الخضراء ثم الصق  
صورتي عليها • كنت أصدق من فوق كتفه الى الورقة  
التي وقعها ثم دفعها نحوي • تأملت ههنا من جديد  
وأمسكتها بحذر •

- انني أعلن وجودي في الثورة باسم مستعار .  
وضعت الورقة في جيبى مع رسالة ، أكد علي أن  
اسلمها الى رجل بالذات في عمان .  
كانت السيارة الضخمة متهيئة . رفعت حقيبتي  
فوق المسند العلوي .  
- أصبحت المدينة منفصلة عني تماما ولا يربطني  
بها سوى هيكل السيارة الخارجي الذي يغطى  
الارض . ان وطننا جديدا ، سينتقل معي . ان ارضي  
هي قدمي .

كانت فتاة صغيرة تبكي ازاء السيارة . رجعت  
نظري من الخارج وحدقت لاتكهن من هو المسافر  
الذي تبكي من أجله تلك الفتاة . كان الجميع  
يحدقون فيها ويحنون لمواطن مفتقدة . وعندما  
تحركت السيارة اخذ شاب يجلس أمامي مباشرة  
يلوح لها . وكانت تلوح له من بين دموعها .

- سيعود اليك ايتها الفتاة ! سيعود يوما . ولكن  
نحن من سننتظرنا ، ونحن له مواطن حقيقيه ٩ .

كانت السيارة تقطع الشوارع المغصية الى خارج  
المدينة . وكنت أهدق في الاشياء بنظرة أخيرة لا  
مبالية .

كان الطريق يمضي في الصحراء والشمس المدمرة  
تضطلع وتفوس في نهاية الارض السمراء، والهدوم

الذي يبعثه الامتداد الممل يدفع تصوراتي للاحتداد .  
المدينة انها تعود .

كنت محاصرا في غرفة ما . وشعرت بانني يجب  
ان اخرج من جسدي والا انفجرت . فتحت الباب  
وخرجت راكضا . ركضت بجانب النهر ورأيت  
قاربا مربوطا بجذع شجرة . قطعت الحبل وتركت  
القارب يتمايل بي . صرخ رجل واقف على  
الشاطئ . .

- زورقي . . اين تذهب به ؟

مرت بطة نهريه بيضاء من جهتي الثانية . لم  
أدفع رأسي نحوه . استدرت وكان يخلع ملايسه  
ويقذف جسده تجاهي . جذفت الى الجانب الاخر . .  
تركت القارب على الشاطئ وهبطت راكضا .

( مدينة بديعة للغاية ! يحاربون فيها بافواههم ! )  
لقد مضت المدينة واصبحت بعيدة جدا ولامعها  
بدأت تتلاشى من ذاكرتي خلا أشباح غير محددة  
تطفو من وجوده ان هذه الصحراء التي يعبرها ظل  
السيارة تؤكد خروجي . نظرت بنعاس الى الخارج  
وكان الظلام يغطي الصحراء . حاولت الا افكر  
بشيء الا ان حماستي كانت توقظني ( ساجده في

عمان • سيتفاجأ بمجيئي ( وتمثلت اللقاء العاطفي  
بيننا •

ولاحت اضواء بعيدة في افق الصحراء •  
هتف رجل من مقدمة السيارة :

— وصلنا الحدود الاردنية  
سألت شرطيا بدويا مشيرا الى اوراقنا  
— أين نختمها ؟

أوما الى كوخ صفيحي مضام :  
— هناك •

كانت الريح الباردة توقظ جسدي المحتسّر •  
ووقفت وسط الطريق الهاديء اتنفس عميقا •  
يا وطن

عندما يغيب الاسم • أو تولد الهيئة لأول مرة  
بينهم سيكون الاسم : وطن •

متبعة من ضوء ، سرية ، مرميه بعيدا ، على  
ارض ملتوية سوداء ، تلوح •

ارض صحراء دموية في السهل • حزمة هائلة من  
ضوء مساكن ••

نقل مدفعه الرشاش الصغير واستند الى الارض •

— لا أحد • ثم يحضر بعد •

لم أر لون الارض هناك • كانت الارض تنتهي  
عند الحواجز ويصبح لونها هواء •

( يتكس العالم جميعه في أي فعل حقيقي ) •  
امرأتان وصبية تمرق اطرافهم المليسا خارج  
النافذة المظلة على الطريق • بيانات وصور قتل  
معلقة على الحائط • غابت الاطراف العليا واصبحت  
الفجوة المنورة ساكنة • : الفراغ ثابت • والاطراف  
العليا تتحرك من البداية الى النهاية وتعود من جديد  
من ( الوطن ) رأسه وحديق تحوي دون تحديد ثم  
عاد الى الباب الامامي •

نهضت • وضعت ذراعي على حافة النافذة وكان  
مطر خفيف ينسحق على الارض • والفجر الشتائي  
يمر خارج الدار ببرده الثلج • توقفت سيارة صغيرة  
قرب الباب • وهبط رجل •• فعدت الى كرسيي •  
كانت الخطوات الثقيلة تقترب من الغرفة •

دخل الرجل والعارس فأخرجت الرسالة • قرأها  
وأشار بود •

— نحن نرحب بك معنا •  
التصق كرسيانا •

( قبعة من ضوء ، سرية ، بعيدة : الهواء الاسود  
الثلجي يتسرب داخل السيارة المنطلقة ) •

امتلات الممرات والغرف خلال دقائق معدودات  
برجال ناعسين •

سألني :

هل انت متعب ؟

نفيت • فقال لي :

هل تأتي معي ؟ سأزور القواعد •

( مدت لها يدي فنظرت • ولم ترفع يدها  
فأشعبت بدون حزن ) •

— سندهب أولا الى ١٢٧ •

وتذكرت الطريق المتعرج المعاذي للمدينة حين  
تطلعت من اعلى المرتفع : ليس هناك انسان واضح  
ولا بيت مكشوف : أضواء في الهواء •

نظرت اليه : هيا •

وأجاب : هيا •

استدارت السيارة فوق جبال عمان •

— سنهبط الى الغور •

كان الانحدار مستمرا والحرارة التي داهمتنا  
اضطرتنا الى فتح النوافذ وخلع الجاكيتات • كانت  
الطرق والوديان خالية • اشار الى منزلق بين  
كتلتين هائلتين من الحجر •

— انهم يتصفون هنا دائما • ونحن معرضون  
لمجيء مفاجيء في كل دقيقة •

انه يلقي كلماته بطلائعية تتناقض مع الخوف  
الذي أحسست به ( على المخاطر تمويد نفسه على  
المفاجأة ) انبثقت في الاسفل كتل كثيفة من الاشجار  
الحضبية :

— سنصل الى اول قاعدة لنا •

انني اندمج في حقيقة محددة •  
ابتسم الرجل — هذه المنازل يسكنها رفاقنا بعدما  
دمرت سكانها القنابل والطائرات •

استدارت السيارة في طريق ترابي واخفاها  
الرجل تحت غصون شجرة ضخمة •  
— سندهب الى القاعدة مشيا •

قفز الرجل من فجوة بستان وتبعته واتجهنا نحو  
منزل مخفي •

— تفرقوا • انها الطائرات •

انتشر المقاتلون بين الاشجار • ومرت الطائرتان  
كضوئين مزمرتين تبرقان •

همس : أرى من الافضل ان نذهب •

كنت أتعجل الدخول في السيارة لئلا تصطادني  
الطائرة برصاصها •



اين هو ؟ ربما أجده في اربد .

كان القنوط يلازمي لانني لم التق به عند وصولي . وتلمست الرسالة التي بعثتها اليه خطيبته .

كان الظلام يهبط عندما دخلنا الى مناطق عسكرية نظامية واحسست براحة متعبة كئيبة . في اربد .

لم أجد صديقي . قال أحدهم : ذهب الى دمشق في عمل عاجل . قلت للقائد - لقد ذهب الى دمشق . أجاب - لنعد الى عمان .

كانت انوار السيارات تفسر الطرقات وتتقاطع بسرعة بين المدن .

كانت يقظة شاملة لجسدي وفكري تستيقظ وانا اهبط في شوارع عمان .

- السيدة تظهر شفافيتها فأنزلني بهدوء وحين اليها واحس بخطاي اكثر وقما ورسوخا .

ايته السيدة . انني استطيع الآن التصميم والحسم .

القائد والرفاق . انهم يتحركون جميعا وأنا جزء منهم .

- صديقي كنت اتمثلك مفاجئا بي وانا ادخل

المقر . لكنك لم تكن هناك . لقد سلمتني خطيبتك هذه الرسالة

- مسست الرسالة بركة - وقالت بحزن ان احثك على الكتابة .

صديقي بقامته الطويلة ومشيته المهلة المخدرة يفعل شيئا ما في دمشق .

سألت مسؤول التنظيم : ألم يعد ؟

- نعم

- اين هو ؟

- في المستشفى .

فر هدوئي وأخذ شيء ما يتنرغ من رأسي :

- ماذا حدث له ؟

- لا أدري .

بتر تصوراتي القلقة بجموده .

ثم اوقفني أمام باب وفتحه ببطء . كان صديقي راقداً ويجانبه ممرضه :

- ماذا حدث له ؟

- اصابته شظية قطعت ساقه .

كانت الساق ملفوفة وبارزة تحت الغطاء

ليثت صامتا مخدقا الى وجهه المخدر . انساب  
صوت خلفي :

— كانت الطائرات تضرب سيارات المواطنين على  
الطريق فتوقفوا ليختبئوا فاصابته شظية . القنابل  
لا تميز .

جلست بجانب صديقي .

( سيارة تطير في الهواء منفتحة على اجساد  
محترقة معزقة . تسير ثم تهبط في الوادي وتحترق  
ساق مبتورة محتفظة بعذائها على جانب الطريق  
العام . طائرة صغيرة لامعة ترمي سلسلة من القنابل  
بل والرصاص على فقراء مهاجرين . موتى موتى  
محترقون على الطرقات . انهم لا يكفون عن القتل ) .

— ساق مقطوعة . ممرضة .

( وجه اصفر مخدر . صديقي نائم لا يعلم انني  
قريبه . انه لن ينهض لعناقي . خطيبته تسلمني  
رسالة . انها تنتظره . تحلم ان يعود اليها يوما .  
غبار يهب في طرقات مدينة مدمرة . اصوات تدعو  
وتدعو . خطابات . اعتذارات عن الثورة .  
شبان صغار يكمنون في مخابئهم . الفتاة المشتاقة  
سارسل اليها الساق .

كلا . كلا . انها ستمد يدها وتلمسها . ستصرخ  
وتوقظ صديقي . صديقي الراقد في المستشفى يساق

واحدة . اصابعي تتشنج . صمت . ضجة . لا شيء  
رجال يحملون أنفسهم ذنوبا لم يقتترفوها كان  
سيقانهم جميعا قطعت . السيدة تبكي . من اخبرك  
ايها السيدة . انك ترين ساقى وقد قطعت . كيف  
ستفاجأ به أمه وأخته عندما يقرع الباب وعكازته  
في يده ) .

— انت هنا .

اخرجني الصوت من جسدي . كان الثائد واقفا  
قرب الباب .

— نحن جميعا بحاجة الى من يخفف عنا .

— لكنه يساق واحدة .

فتح صديقي عينيه وتصلب وجهه عندما رأي  
ثم ابتسم . جلست بجانبه احقق فيه بالأم . سألتني  
بمرح .

— أتيت أخيرا .

ابتسمت وانا مرتج . ثم فاجاني :

— سنعمل سوية .

كان وجهه جادا ومضمما فوق السرير الابيض .

وعندما ضغط على يدها وهي تعيده الى السرير ثم  
تسحب يدها وتركته الى ان فك اصابعه •

انباته : انتهى علاجك •

وتذكر لجان التحقيق الكثيرة التي زارته •  
حدق في وجهها ودفع الباب • أمسكها من كتفها  
وقبلها • وأحس بحرارتها وهي تحتضنه •

ابتعدا عندما سمعا خطوات قرب الباب • وظهر  
ثلاثة جنود • قال أسرهم بخشونة : هيا •  
تسأله الرجل - الى اين ؟ •

أجابه :

- الى السجن • هل تريد المكوث هنا الى الابد ؟ •

أدارت الممرضة ظهرها • وأحس الرجل عندما  
اقتيد أنها كانت ترتعد •

## - البنادق -

- تستطيع الآن ان تتحرك • بل وان تمشي  
قليلا • ارتخي جسد الرجل فوق السرير ، ونظرت  
اليه الممرضة يعوس :

- سنسمح لك بالمشي • ولكن داخل الغرفة فقط !  
وضحك وهي تنظر الى الطبيب العسكري •

انه يشعر بالمرأة خلف قناع الممرضة المعادية •  
انها تبدي جفاءها كلما التقت عيناه بعينيها • لقد  
تعود عليها وهي تعود منذ شهر : منذ أسره • أراد  
ان يعبر لها عن امتنانه ولكنه يصطدم بتقاطيعها  
الصارمة • عندما خرج الطبيب العسكري تقدمت  
منه وسوت فراشه • رفع يده وحطها على يدها  
وأمسكها برفق • سحبت يدها بمنف ووبخته • أعاد  
يده بحزن ووضعها الى جانبه وتمتم معتذرا •

وتكرر دخولها عليه لعيادته وكانت تلين يوما  
بعد آخر وهو يتكىء على يدها ويخطو في الغرفة •

## الجدران

ضربته ريح الليل • ارتجف وهو في مكمنه • كانت  
القرية العربية كتلا متخفية في الظلام • وكان  
معزولا فوقها •

— كادت القرية تتحرر •

ازداد ارتجافه في الريح القارصة • خشي ان  
يموت من البرد • وكانت ثمة اشباح ترصد في مفارق  
الطرق •

زحف فوق المنحدر ملتصقا بالارض واصبح قرب  
وسط القرية • كانت الاصوات العبرية تمر بين  
فترة واخرى في الصمت الشامل •

ادرك الرجل انه محاصر ولن يستطيع النجاة  
اذا اكتشف • لم يعد يشعر بالخوف • استمر في  
زحفه واستدار خلف بيت قديم وانست عبر الباب •  
وكانت دورية معادية ترون خطواتها قرب الجدران • •  
( انا وقدري ) همس الرجل وقرع الباب بخفوت  
واستمر يقرع • سأل صوت معاذر — من ؟ •

أجاب الرجل بهمس — افتحوا الباب • أنا صديق •

ثم نهض على ركبتيه وولج الى الداخل •

سأله صاحب المنزل •

— من أنت ؟

— هل ينفذ الضوء الى الخارج ؟

— كلا •

اضاء الرجل عود ثقاب • ورأى الرجلان

بعضهما • وانطلقا عود الثقاب •

قال الرجل — كنا مجموعة في مهمة خاصة • وعدت

• وحدي •

سأخبيء هنا فترة قصيرة • ان قواتنا ستحرر

القرية • اجلس الزائر الليلي على كرسي • وناوله

رجل الداخل رغيفا وجبنا ثم قال :

— لو اكتشفت ، سنموت كلانا •

أجابه الثاني — أعرف ذلك •

زحف صوت نسائي :

— من معك ؟

أجابها الرجل

— هس ، ثم زحف اليها •

بدأت معالم الفجر تضيء معالم القرية ، وكان الرجل غافيا على كرسيه ، وعندما سمع أصوات صاحب المنزل استيقظ وتناول الفطور ، وكانت المرأة تختلس النظر اليه .

قال صاحب المنزل :

— لو حدث شيء • اختبئ هنا •

وأشار الى غرفة مليئة بركسام من البراميل والفتاتي والغارات :

— أقفل الباب وراءك وافتح الباب المؤدي الى الخارج ، وقل انك تسلمت دون علم أحد واختبأت •

قال المحارب :

— لن اعرضك لخطر •

ابتسم صاحب المنزل برضا وحذر زوجته من الاشارة الى الرجل • مع الجارات •

راقب الرجل ، من خلف الستارة ، الجنود الاعداء وهم يحرون في القرية •

عاد صاحب المنزل ظهرا وقال :

— انهم يتحدثون عن ايقاف اطلاق النار • يقولون سيتوقف الليل في الساعة الثامنة •

كانت اصوات القذائف تشتد وتتكاثر • ابتسم المحارب :

— انهم يقتربون لن يتوقف القتال •

انقطع جري الاعداء في القرية واقتصر الطريق • وتسللت بعض النسوة بجانب الحيطان وهن يحملن ارغفة خبز وحزما صغيرة من الخضراوات •

فجأة طُرق الباب • نظر الرجلان سوية تجاهه ثم التفت عيناهما • قفز المحارب الى الغرفة الصغيرة واغلق بابها • وسمع المحارب رجلا يتحدث بسرعة عن ايقاف اطلاق النار • وصوت اغلاق الباب • همس صاحب المنزل — انه جاري •

قال المحارب :

— انها خدعة • • لن تتوقف الحرب •

في الموعد المحدد لم تطلق قذيفة •

في اليوم الثاني اطلقت قذائف قليلة . لكنها ليست قذائف حرب •

وعندما حل الليل ، قال المحارب :

— لم تتحرر القرية • لقد حوصرت •

أجابه صاحب المنزل :

— لا عليك • امكث هنا ما دمت حيا • لم يدم احتلال الى الابد •

نظر المحارب بحزن الى البيوت التي انطوت في  
الظلام . في منتصف الليل ، سمع صاحب المنزل  
صوت انفتاح الباب وانغلاقه . قفز من فراشه وتقدم  
بحذر الى فراش المحارب . كان خاليا . فتح ستارة  
النافذة وحدق في الظلام .

كان المحارب يزحف في الليل ويصعد السطح .  
ظل يتابعه بنظيره الى ان اختفى في شعاب الجبل .

### - الرصيف -

كانت الغرفة نظيفة وخالية ، لها باب رفيع  
يتحشر فيه الداخل ليتمكن من العبور . وكان رجلان  
اولهما يحمل عصا ، والثاني يترنح وكان يدا خفية  
ترفعه وتمتعه من السقوط قال الاول - سنبدأ من  
جديد . دوما نبدأ من جديد . ويبدو اننا لن ننتهي  
مه ؟

- الثاني لا يجيب -

الاول - افتح هاتين الشفتين . اعلن صوتا  
واحدا !

- ينتقل الى مقدمة الغرفة ثم يعود الى مكانه - :

- ماذا تجد في الصمت ؟

- الثاني لا يجيب - .

الاول - لن يكسرني صمتك . ليس الصمت دائما  
قوة المخلوب . ( يتوقف ويقول بسخرية ) : مخلوب !

- يمسك بالعصا - :

— كلمة واحدة من فضلك !

— صمت —

الاول — لن نتكلم • هاه • ؟ سأحولك الى تيار من الكلام • ( متحدثا مع نفسه : سؤال صغير ينزلك الى ذلك المكان السري الذي تختبئ فيه المعلومات ، ويرفع الحاجز فتتصدر الاجوبة متدافقة • جواب السؤال الاول هو المفتاح الاساسي • ثم تبقى اضاءات صغيرة تنكشف تلقائيا • ان قيمته تكمن بالمعلومات التي ستظهر حتما • ستحل المعلومات في الاوراق وتختفي قيمته ) • صدئ لجوقة يرجع — تختفي • تختفي • تختفي •

الاول — هل تسمع النداء ؟ أصوات تنفجر من صوتي •

الجوقة — انه لا يتكلم • انه لا يتكلم •  
— يضيء الاول نورا اقوى على المقيد ثم يمسكه من شعره ويرفع سوطه الى الاعلى ويضربه فيترنح ويسقط على الارض — •

الاول — اللعبة غير المجدية تتكرر • يسقط ثم ارفعه • يسقط ثم ارفعه •

— يدخل ظل الى الغرفة —

الظل — الام ستضربه ؟ انه لا يتكلم •

( لا يلتفت اليه يجيبه وظهره نحوه ، بتقرير : )

الاول — كلهم يتكلمون في النهاية ويقولون تاريخا فات •

( يستدير ببطء ويضيف : )

— التاريخ : عين مزورة غير موجودة في الحاضر  
الظل — لكنه سيموت •

الاول — لن يموت • انهم يمسكون اللحظة البارقة بين الحياة والموت فتضيء لهم مستقبلهم • انهم بحاجة الى هذه اللحظة ولذا ندفعهم ، وندفعهم ، فيسقطون بين أيدينا •

— ينسحب الظل —

الاول — بين أيدينا تتفتح حياتك ايها الرجل • تتفتح أياما جديدة •

— يذهب الى جانب اخر ويحضر دلوا من الماء •  
يصب على الرجل الملقى • فيرفع رأسه :

الثاني — أين أنا ؟ أم • أم •

( يصب عليه من جديد • )

الثاني — أين سأذهب ؟ كيف جرى ذلك ؟

( يحدق في الفرقة ويتذكر • )

الثاني — لا جديد • لا جديد ايها الرجل •

( ينهض ويواجه الاول متضرعا : )

— لا اعلم شيئا • لا اعلم شيئا •

الاول — لا تقل لا اعلم شيئا • من يصدق ؟ ( الى جمهور ما : ) هل تصدقون ان رجلا مثل هذا لا يعلم شيئا بالمرة ( يتحول الى الثاني ) انك تعلم شيئا • ولنقل شيئا ما على الاقل • فحدثنا عنه •

( قبل ان يكمل حديثه • يتداعى الثاني على الارض • فيسرع الى الدلو ويصب عليه فيقيق ) • الاول — هل تصعب عليك البداية ؟ ابدأ من اي موضع وسأربط الحديث •

الجوقة — انه يجيد ربط الكلام • يجيد ربط الكلام • ربط الكلام • الربط •

الاول — وأنا أمين • سأطعمك على حديثك ثم تصدق عليه • ( يتطلع اليه الثاني • ويقول بهدوء : ) — لا شيء لدي •

الاول — اذن ما زلنا مختلفين •

( صمت )

الاول — لن تموت • اطمئن • لكنك ستوصل الى الموت •

( يرفع سوطه ويضرب بقسوة • يسقط الثاني على الارض ) •

— يطفأ النور لحظة —

— ٢ —

— تنار الاضواء قليلا • الرجل الثاني وحده • يرفع رأسه — :

— الجدران تتقدم نحوي وتستدير ( يغطي عينيه ويدفع يده تجاه الجدران — : ستتكوم علي ( يصرخ : ) قفي • ( يفتح عينيه : ) أم تراني أنا الذي أدور ؟ اننا جميعا ندور • أخ • عشيت مليون سنة • انني اخرج من عتمة العصور محطما • يدي في بطني • واصابعي في رقبتني • وعيني في كفي • — يدخل الظل —

الظل — لقد اختصرت العالم الى جروحك • لا شيء داخل الغرفة وخارجها يتحرك سوى جروحك • والنتيجة انت ستوجد مع جروحك ولا شيء خارجك أين رحل العالم • الى أية نقطة ابتعد عن نظرك ؟ الثاني — العالم في جروحي •

الظل ( بحميمية ) : بالتأكيد • لانه هو الذي أوجدها • العالم الرديء طبعاً •

الثاني — انك جاسوس •

الظل — لست جاسوساً • لكنني سموتك الخفي • الثاني — انت تهذي •

الظل — اين تكمن الحقيقة ؟ هل تأخذ شكلاً نهائياً ؟



وكيف يسقط الانسان ويقف ازاء نفسه والآخرين؟  
واية مبادئ على الانسان ان يتحدد بموجبها ليكون  
واقفاً او ساقطاً في زمنه؟ الارض واسعة فيها الاف  
المدن وملايين الافكار . ولكل انسان مدته . لقد  
تهدم التاريخ ولم يبق الا حطامه . ستقف وحدك  
فوق الاطلال المحرقة ، ولن تفلت أبداً . التاريخ  
انتهى واذا اردت فابدأ من جديد فقد تفضوا الحطام  
عنك واخرجوك .

الثاني - هناك كثيرون . سنجتمع ونبنى من جديد .  
الظل - انت احمق ، تصرخ في الفراغ ، تمزقك  
خطيئتك .

الثاني - سنبني من جديد .  
الظل - لكنك لن تنجو من هنا .  
( يصمت الثاني )

الظل - اذن كيف سنبني من جديد .

الثاني - لن تنتقيني الهزائم .  
الظل - انت مهووس بالتاريخ المجرد . التاريخ  
المتكون وفق قناعاتك .

الجوقة تردد - قناعاتك . قناعاتك . قناعاتك .  
قناعاتك .

الظل - ماضيك لن يتلوث لانه انتهى .

وسيحولك الحاضر الى اتجناه اخر . الى فعل  
اخر .

الثاني - وضميري ؟  
الظل - من الاشكال الاخير !  
الثاني - لن اخون موافقي .

الظل - تستطيع ان تنقل على ماضيك لكنك  
ستفقد حاضرك . واذا اردت العمل فتستطيعه .  
تستطيع العمل بطرق مختلفة .

الثاني - أرسلوك لتزايقي سهلا اليهم أيها  
الجاسوس ( ييصق تجاهه : ) اخرج ( يدخل الاول ) :

الاول - ما بين اللحظتين يكون الفراغ . لكنه  
فراغ متحرك ، ايها الفرير . تهيأ للوقوف بين  
اللحظتين . بين الحياة والموت . بين الموت والموت .  
- تطفأ الانوار قليلا -

يدخل شخص معلنا للرجل الثاني :

- بعد أن عدت الى صوابك انت مطلق السراح .  
( كان الرجل الثاني يستند بظهره على الحائط  
قيمتدل وتضاء الغرفة مجددا ويصبح في مكان  
واسع ) .

- يمر شيخ عجوز -

العجوز ( يتمتم ) : انتهى . انتهى . لم يعد الا

القطار يلأليء وحده وأنا أحوم - من هنا ؟ - من  
انت ؟ الثاني ( متباغتا ) : أنا عابر -

المجوز - وهل تحوم مثلي حول القطار -  
الثاني - أي قطار ؟

المجوز - ذاك الذي يعبر مثل الريح - قطار من  
ضوء يشق الهواء انني اتبعه ، أسافر خلفه منذ زمن  
طويل - هل تجيء معي ؟

الثاني - انصرف قطارك أيها الرجل قبل  
أن يبتعد -

المجوز - انه يقف عندما أقف -  
الثاني - اذن ابتعد -

( ينصرف المجوز وهو يحملق في قطاره غير  
المرئي ) -

- تمر امرأة زاهية - تتوقف أمامه ثم تسأله :  
المرأة - هل انت هنا منذ فترة طويلة -  
الثاني - آه - اي -

المرأة - ماذا تفعل هنا -

الثاني - انني ابحت عن مدينة جديدة -  
المرأة - مدينة جديدة ؟ لا بد ان تكون بعيدة -  
الثاني - الا تعرفين طريقا الى أقرب مدينة ؟  
المرأة - الطريق الذي جئت منه -

- وتقترب منه وتهمس -

- تعال معي - سنجوب غابات الجمال الكثيفة  
ونطفو في هدوء الذهن ولن نقف أمامنا جدران المدن -

- تصمت ثم تضيف : -

- ستصعد درجا أخاذا ويحل بك دفء الامل -  
الثاني - انني أركز اتعابي على الارض - انها  
وحدها تتحملنا الى النهاية - انصرفي -

- تبتعد المرأة بعد ان يؤكد اصراره على  
البقاء - ( اضاءات وانطفاءات - ثم يظهر طفل  
صغير جميل ) -

الثاني ( ينادي ) - أيها الطفل - أيها الطفل -  
الطفل ( متلفتا ) - نعم - ماذا تريد ؟  
الثاني - ألا تراني ؟

الطفل - لا أراك -  
الثاني - انا هنا - ابصر وجهي - وهاتان كفتاي -  
وهذا جسدي -

الطفل - لا أراك - انت بعيد جدا بين أوراق  
شجرة كثيفة تطفو على الماء - لك قدمان مثل نهايات  
الجزر -

الثاني - تعال الي - انقذني -  
الطفل - المسافة بعيدة لا استطيع - لا استطيع -

الثاني - اكاد اغرق • امسكني من يدي •  
خذها •

الطفل - ان يدك تطفو وحدها •

الثاني - ( يتوسل ) : انقذني •

الطفل - لقد تأخرت • سأذهب الى المنزل ( ثم  
يبتعد ) • الثاني ( وحده • الضوء يتوسع ويكبر  
الارض الجرداء •  
يهتف الرجل : )

- كل انسان ينتمي الى اوهامه وشجاعات احلامه •  
وبين الاوهام والاحلام يأخذ العالم شكله • والانسان  
لا يأخذ شكلا واحدا ، ولا يمكن ان يجمد ضمن  
تخطيط يضعه انسان يجيد صياغة النصائح ( يصت  
قليلا ثم يضيف : ) الناس يرتحنون الى عدمهم ،  
عليه • والآخرين يضرون من عدمهم بطرق  
مختلفة ، لكنهم يلتقون فوق الهاوية ويحدقون على  
فرعهم الذي لا ينتهي • ليس للانسان قانون حقيقي  
الا الثورة أو لا يبقى للانسان الا انهياراته التي  
تفترس افراحه

- يطفأ الضوء نهائيا •

ايلول الدم / ١٩٧٠

الجزائر وهران

## - النهوض -

كان صاحب المخزن الصغير الذي يقتعد كرسيا  
على باب مخزنه يقريني بأن امسكه واهز جسده  
البيدين •

تقدمت منه واومات اليه ، فاستدار الى داخل  
مخزنه متمتما بترحيبات عديدة • بادرته :

- بع لي امرأة •

اندهش البيدين :

- ماذا ؟

- آه ...

تقدم البيدين غاضبا • فسأله بنمومة •

- أليست لديك منها ؟

زأر :

- اذهب • سأهشم رأسك •

أكدت له :

- لا تغضب ولا تتحدث بيديك • سأشتري منك

بضاعة اخرى صمت البدين • اقتربت منه وصرت  
بجانبه وهمت :

• اريد ان اشتريك انت •  
— انا ؟

وتجدد غضبه :  
حدثته بسرعة :

ما معنى حياتك في هذا الدكان الصغير • تجلس  
فيه كل يوم وتعود الى امرأتك البدينة والى اطفالك  
القصار البدناء ثم تنام • انك تهدر حياتك •

لم يغضب ، بل رمقني بنظرة استعملنسي فيها  
كمجنون ، لكن مظهري العام لم يتح له ان يقتنع انه  
ازاء مجنون • اجابني :

— انني قانع بحياتي • فلا تتدخل فيما ليس لك  
شأن به •

— انتبه يا رجل • ماذا اسديت لحياتك طيلة  
السنوات الماضية ، ولدت في مخزن وستموت فيه •

رفع الرجل عصاه خفية ، وضربني على ساعدي  
ثم على صدري • فتراجعت الى الباب قائلا :

— تمهل •

— لا ترني وجهك ثانية والا قتلتك •

مضيت وألم ينبض في ساعدي • ( في هذه الممرارة

كلما حاولت خلق منفذ للحرية ادركت فشله ( ترسخ  
في ، وانا احرق من بعيد الى المخزن ، ان التاجر  
مسؤول مباشر عن تناقضاتي ، فتقدمت منه  
بتصميم وهتفت به :

— اخرج ايها النذل •

رفع عصاه وتقدم مني فثبث قدمي وركلته  
على خصيتيه فسقط على الارض ••• وعدت  
بهدوء مطلق •

## — الشاهد —

اتحدر الصياد وسط الضباب الصباحي الى حافة النهر ، والقي سنارته الصلبة في المياه • وكانت زوارق الصيادين تعبر غائمة •

ثقلت السنارة وأخذ الصياد يسحبها :

— ربما نثبت في صخرة •

ثم ظهر رأس امرأة • امسكها من شعرها وجرها الى الجرف • كانت امرأة عارية مقتولة وممزقة ، تتدلى حلية فوق صدرها •

ارتجف الصياد والتفت • لم ير أحدا ، خلص حبل سنارته واقتلع الحلية وفر راكضا • وزاحت الامواج تضرب الجسد الممدد على الجرف •

احكم الصياد غلق باب كوخه واخرج الحلية من جيبه ضغط عليها فانفتحت وبرزت صورة شاب يتسم • اقتلع الصورة باظفره وقرأ خلفها • الى حبيبتى • والى الابد • رمى الصورة على الارض وابتسامتها تتوسع وكانت المياه الطينية تضرب جثة المرأة الممزقة على الجرف •

## — العلبة —

ضغط على الاكرة ودفع • كان الباب مغلقا • قرع الباب بقبضته فالتته • تراجع وهتف :

— افتحوا • افتحوا • لقد عدت •

كان قد ارتحل منذ سنوات الى الخارج ليعمل ويصبح ثريا • انتظر انفتاح الباب أو رأسا يطل من نافذة ، ثم صاح مجددا :

— افتحوا لقد عدت •

ناداه احد الجيران ، عندما سمع صرخة :

— لا يوجد أحد في المنزل • رحلوا منذ سنوات •

انحنى وحمل حقيبته وسار لا يعرف ماذا سيفعل؟

## - العصفور الاسود -

صرخ صوت :

- عبد الرحمن \*

تلقت الرجل : همم !! \*

أمره الصوت :

- قف \*

سأله يبرود - ماذا تريد ؟

- تعال هنا \* بجانب الجدار هنا \*

- همم !! \*

هبت نسمة خفيفة عبر الظل \*

سأله الصوت - لماذا طلقت اختي ؟

- كانت تخونني \*

صاح الصوت - اختي لا تطلق \*

صرخ عبد الرحمن ، ثم هبط يتلوى ببطء الى الارض والغنجر يدقعه ، واستطالت ساقاه فغمرتهما الشمس ، ومضى الآخر عابرا الطريق ، ثم اختفى \*

## - الشاحنة -

التمعت بقعة من الضوء على كتفه .. كانت تنحدر بخط مستقيم من النافذة الصغيرة المنحوتة في اعلى الجدار \* رفع كتفه فنزلت البقعة على صدره \*

كان رأسه تجاه الآخرين في القاعة المربعة الرملية ، ينظرهم للمرة المليون ويستشعرهم مترسبين كحصوة في اعماقه ، متفرقين بمناماتهم الملونة ، منسوجين على الافرشة الارضية \* كلهم يذوبون في بؤرة صغيرة واحدة تخترقه وتتكشف في اعماق صدره ، وتعجزه عن الحركة \* استدار اليه جسد طويل ، ممدد ، الى جانبه ، قائلا :

- اعطني سيكارة \*

وكان الجسد يوازيه من الجهة الثانية ، يدها معقوفتان تحت رأسه ، وعيناه يابستان بين جفونه \* والاجساد الاخرى خطوط متعاكسة مثبتة بالارض \*

( لا تملك ان تحبهم أو تكرههم • هم موجودون وانا موجود دائما ) انه ليدهش في هذه اللحظة بالذات • ان شخصا اخر يحل في جسده يتعامل مع الآخرين : يتكلم ويتناقش ويتحرك معهم ، لكنه هو ، في الداخل ، بعيد عنهم ، في مكان آخر منفصل ، لا مسافة بينه وبين هذا المكان •

كانت العينان اليابستان اللتان تجاورانه ، تتحركان على جريدة بعيد محدد ، لا يتغير ، وكان يراقب وجهه ، وحين اتصلت عيناه بجدة ، في جزء من الجريدة • • سأله :

— هل من جديد ؟

استمرت العينان في اتصالهما بالجزء ، ثم انفصلتا وتراخت الجريدة بين يديه وهو يواجهه • ضحك الجسد ، وعاد يسأله :

— هل من جديد ؟

امتدت الجريدة في يده مستقيمة ، لكنه لم يأخذها وتصلب وهو يراقب بقعة الشمس ، تصل الى عنقه وعناقيد الدخان تتجمع في عمود الضوء الكثيف ، تعتد فيه وتتصاعد متسلقة ثم تتلاشى منتشرة في هواء الخارج •

انحسر وعيه ، واصبحت عيناه فجوتين ملامستين لجميع الاجساد المنطرفة مرتبطتين بانيوبيتين في اذنيه اللتين رهفتا للاحداث الكثيرة :

— لم يعودوا يتكلمون الا لما عن السير الطويل في الشوارع • لم يعودوا يفكرون بالحرية •

التصمت عينا جاره وهمس له :

— كف عن احلامك الثقيلة بالحرية •

حقا • كان البشر والطرق والمباني في مدينته خطوطا مشوشة ولم يعد يقوى على تصور ابعادها •

واضاف : ان يدي ترتجفان كلما تمثلت نفسي لمس امرأة وزحف الى جانب اذنه — اتبعني عندما تبدأ الزيارة • انتشر الحراس في باحات السجن وفتحت ابواب الزنانات وأخذ السجناء يبحثون عن اقربائهم واصدقائهم ويهرعون اليهم ثم ينتحون بهم بجانب أحد الحيطان •

بقي الرجلان جالسين • لم يكونا ينتظران أحدا يزورهما ، وذلك ذو العينين المتيبستين الى المرحاض وأشار للثاني أن يلحقه ، ثم اشرأب بعنقه الى النافذة الصغيرة ورفع يده اليه ليحذو حذوه •

كان صوت تسائي يتحدث من أسفل النافذة الى احد السجناء بلهفة ، كان صوتا عذبا واتشويا

قال الثاني — ما الامر ؟ •

وضع الاول يده على فمه وقال — اسكت • ثم أخذ يرتعش •

خرج وتركه معلقا يده في النافذة •

لم تكن لديه رغبة في الخروج الى باحة السجن ورؤية البقع البشرية المتناثرة فيها \* ورقى في مكانه \* وعندما انتهت الزيارة واخذ السجناء يعودون وأيديهم محملة بالأكياس المنتفخة والتدور خرج الرجل الاول من المرحاض وهو يمسح عرقه بكفه وعاد وتمدد بجانب الرجل الثاني ، وقال له - لقد ذهبت المرأة ويعد عن ذلك الرجل ، عندما لقد ذهبت المرأة كان الرجل الثاني مثمئرا وأراد أن يدير ظهره ويبتعد عن ذلك الرجل ، عندما سمعه -

- اليس عظيما ان تسمع صوت امرأة ليست منتبهة اليك ، في الوحدة الجارحة التي نعيشها انها الحرية -

لم يجبه \* كان يائسا للنهاية \* والنور راح يشحب في نافذة الزنزانة العليا \*

## - اعضاء -

كان يصحو دائما على فقره \* وحين لا يمود ينظر الى شيء معين ، ينشني بين الارقام الضخمة للنقود ومسرات لا تعد \* كان يتوقع احيانا ان يلتقط حافظة مربية ، محشوة بأوراق نقدية كبيرة ، وفي احيان أكثر يعثر على حقيبة مليئة بأكداش الاوراق النقدية -

( حين تصبح النقود بين يديه ينتهي حاضره ، ويطفر الى مستقبل بعيد ، في مكان بعيد ، حياة لا يمكن ان يظفر بها في مكانه ) \*

لكنه حين يذهب الى عمله الوظيفي المستتب تأسره العلاقات المحددة وتمحي من ذهنه اكداش النقود ويصبح ضليعا بالمسائل الصغيرة \*

كانت الشمس تنشر اشعتها الصباحية الدافئة عندما انطلق الموظف الى دائرته مارا بجانب حديقة عامة \* أخذ يوجه نظاره المتفحصة الى كتل النباتات



المتكاثفة وانتبه الى شيء أسود بارز بين فسائل  
تغلة .

تمهل الموظف في مثيته مضطربا وقلبه يخفق ،  
وكان بعض الموظفين يلوحون من بعيد مسرعين الى  
دواثرهم ، وفيما عداهم لم يمر احد في الطريق  
المنعزل بجانب الحديقة . ( ستمر بضغ دقات  
ويبدأ الدوام . سيخلو الطريق من المارة وعندئذ  
سألتقط الحقيبة . سأقول غدا انني كنت مريضا ولم  
استطع الحضور ) .

استدار الموظف حول الحديقة متباطئا وهو يرمق  
موضع الحقيبة لئلا يسبقه أحد اليها .

( كنت أعلم ان حلمي سيتحقق يوما ) .

أصبح الطريق خاليا فلم يضع الموظف لحظة .  
رفع ساقيه فوق السور الوطني . دانست الحقيبة  
المخفية سوداء صغيرة ، انتشلها من بين السعف  
الصغير واندفع الى جانب السور . كان يود ان يختفي  
فوراً من المكان واراد ان يركض ولكن خشي ان يراه  
أحد فيشك فيه .

تمهل بعد ان قطع أربعة شوارع ( ساعود الى  
المنزل . هناك استطيع اخفاء النقود ثم امزق  
الحقيبة وأتلفها ) .

استكان رعبه بعد ان اغلق باب منزله خلفه . ولم

يستطع الانتظار وفتح الحقيبة . كان في اعلاها ثياب  
نسائية قديمة . ابتسم الرجل . وضغط الثياب  
بكفة ورفعها . وابصر في قاع الحقيبة رأس امرأة  
أسمر مقطوعا وكانت عينا الرأس مفتوحتين اشتدت  
دقات قلبه وأعجزه رعبه عن الحركة والتفكير .

سقطت الحقيبة من يده وارتطم الرأس بالأرض .  
خيل اليه انه يسمع لقطا امام باب منزله . . اعاد  
الثياب بسرعة الى الحقيبة واغلقها . وارهف سمعه  
وذهب الى الشباك مرتجفا ودفع ياصبعه جانبا  
الستارة ونظر الى الخارج ولم يبصر أحدا .

تساءل برعب ( ماذا سأفعل ؟ سيقولون انني  
القاتل لو وجدوا الرأس لدي . لن تصدق الشرطة  
لو أخبرتها بالحقيقة . ستنتهي حياتي وسأفقد  
وظيفتي ) .

توقف الموظف ( سأخرج بها ليلا وارميها واتخلص  
منها ) وعاد يحسب الوقت الطويل الذي سيمضي .  
ربما شاهده أحد وهو يحمل الحقيبة . سيقبض عليه  
بلا شك . وتساءل ( ماذا لو دفنت الرأس في حديقة  
منزلي . كلا سيكتشف يوما ما ويقبض علي ) .

( اسمه وعنوانه وظيفته ينشران في الصحف .  
القاتل ؟ . اللص ؟ اللص القاتل . )

( انني لم أقتل ولم أسرق . لكن من سيصدق ؟

وهل يوجد اكثر اثباتا من رأس مدمى مخبوءا في  
حقيبة داخل المنزل ؟ ربما سيعثرون على الجسد في  
مكان آخر . وما فائدة الجسد ؟ لقد قطع الرأس  
لاخفاء شخصها . اذن الرأس هو المهم . والرأس هنا  
في المنزل ) .

توتر جسد الموظف . رفع الحقيبة وخبأها تحت  
كومة من الافرشة والاعطية . ثم خرج الى الطريق  
ليؤكد من عدم مراقبة منزله . وابصر ثلاثة اطفال  
يلعبون بعيدا .

نظر الى حائط جاره ( ماذا لو قدفت الرأس الى  
منزله ؟ لكن صوت الارتطام سيجعلهم يقفزون  
ويكتشفون الامر ) . وعند حلول الظلام كان الموظف  
متعبا وجائعا وصورة الرأس المخبوءة ماثلة امامه .

( سأعدم في النهاية . لا بسد من التخلص من  
الرأس ) . خرج الموظف من منزله وسار في الطريق  
المؤدي الى الحديقة العامة وهو يراقب المنعطفات  
والزوايا بدقة . ثم عاد الى منزله وخرج الحقيبة  
وانتزع الرأس مسكاً به شعره الطويل ووضعه في  
كيس ورقي كبير .

لن يشك بي احد . سيعتقدون انني احمل  
بعض الاطعمة . توقفت الموظف بجانب السور وتهيأ  
كما لو كان سيتبول اذا حدث وان سأله احد ماذا  
يفعل .

ثم يكن هناك اي عابر في الطريق المظلم . فتح  
الكيس ودفع الرأس الى ارض الحديقة ثم طوى  
الكيس ووضعه في جيبه .

وصل الى منزله ( الحقيبة . لا يد من ازالة  
البصمات عنها ) .

امسكها ومسحها بعناية ثم رفعها وخرج مسرعا .  
توجه نحو النهر ونزل بطيئا ، المنحدر التراپي ،  
وصار بجانب الماء .

جلس ووضع الحقيبة امامه ، وبعد ان تلفت  
دفعها بقدمه حتى غاصت ( ستمحو المياه البصمات  
المتبقية ) . ولم يستطع الموظف ان ينام . كانت  
الرؤوس المقطوعة تحدد فيه من حقائب كثيرة  
مصقوفة حوله .

وفي الصباح جلس الموظف خلف مكتبه وراح  
يحدد في الاوراق التي بدأت تلتصق في اطرافها يقع  
الدماء .

باعتقاد: أقفلنا المطعم وأتيت مباشرة . ماذا لم تنامي؟  
فتقول له : لا أستطيع النوم قبل ان أراك . ثم  
يدلفان الى المنزل .

احسن انه لا يستطيع الخطو وألمه يشتد ، وكان  
المطر قد بل حتى ملايسه الداخلية . توقف تحت  
شجرة يوكالبتوس ورفع قدمه وفركها . اشتملت  
فيها ناز من الألم ( ساستريح قليلا ثم امضي . البرد  
قاس ) . طوى رجله الصحيحة ومد ساقه المصابة  
وجلس .

كانت الريح تسوق المطر على جسده المحمي خلف  
الجذع وساقه الممددة ( انها تقف خلف الباب ترتجف  
من البرد .

يبيلها المطر عندما تمد رأسها من الباب . ساصل بعد  
قليل وكالمادة يكون الاطفال نائمين) ونظر الى ساقه  
المخمورة بنثيث المطر ( ترى هل يستطيع العمل غدا؟  
سيقدر صاحب المطعم حالتي ويساعدني . لكنسه  
سيجد بديلا لي فورا اذا لم احضر . ترى هل يعيدني  
الى العمل اذا شفيت ؟ ) وايتسم بوشوق ( طبعا  
سيعيدني الى العمل . سبع سنوات وأنا اعلم عنده  
وتعرضت من أجله لشتائم وضرب السكارى والقساة  
لكنه ليس وفيا . ماذا سيأكل الصغار وامهم لو  
انقطعت عن العمل ؟ ) انتابته حماسة فقلص ساقه  
واستقام على الرجل الصحيحة واراد ان يتقدم الا

## - الانتعاش -

كان المطر كثيفا وسريعا والريح تدفعه مدويا ،  
مرتطما بالطريق . والبيوت مقفلة ، واسترة النوافذ  
مسدلة كان الطريق خاليا والمطر يتسطح تضيئه  
كثل النور المرتجة من الاعمدة الكهربائية .

اسرع رجل مبثل بجانب الحيطان راكضا وانزلقت  
قدمه في فجوة ترابية وهوى نصفه الاعلى الى الامام ،  
وأحس بالماء ينفذ الى صدره والمطر ينغرز في شعره  
وملايسه .

كانت قدمه تؤذيه وأخذ يدفع رجله متقدما  
يصعوبة . وكان بيته ما يزال بعيدا ( ساصل بعد  
قليل واخلع ملايسي المبثلة ثم أضع فوقه الاغطية  
الثقيلة ) .

والتمعت في ذهنه صورة امرأته واقفة خلف الباب  
تمد رأسها بين دقيقة واخرى لتلمحه ، وعندما  
ستأكد من وصوله ستفتح الباب وتخطو الى الخارج  
وتقول له بصوت قلق - تأخرت كثيرا - فيجيبها

انه لم يستطع ان ينقل رجله خطوة واحدة - واحس بالقرع يغمره وتضاعف البرد اللاسع لجسده ( ترى ماذا سيحدث ؟ ) انه لا يستطيع التحرك ( سأتجمد في البرد ) عندما وعى انه سيموت - حدق مرتاعا في الطريق والى الدور المقللة ( سيمر شخص من هنا وينقذني ) - لكن الطريق كان خاليا والوقت متأخرا - وانتظر الرجل طويلا مرور عابر وسرى في جسده الاعياء ( لن أموت - من يطعم الصغار ؟ ) ونظر الى بيت كبير أمامه مظلل بالظلام ( سيدخلونني ويطلبون لي سيارة اسعاف وربما اوصلوني الى منزلي ) - كان الالم يسحقه وهو ينقل خطواته البطيئة ويغوص في الماء متجها الى بوابة المنزل - تمنع في الجدار بأحشا عن زر الجرس ولمحه فمد يده وضغطه ضغطة خفيفة وانتظر وهو يمسك حديد البوابة المتقاطع ويتشبث به - وشعر انه انه يتداعى وزحف يائسا الى الجرس وضغط بيده عليه واستطاع ان يسمع الرنين المتصل في الداخل وبدأ عبر الزجاج نور يضيء - فرفع يده عن الجرس وامسك الباب بيده الرخوة - صرخ رجل من النافذة:

- من ؟

قال الرجل نحو مصدر الصوت بأعياء:

- افتح الباب - سأمت من البرد -

صاح الصوت ساخطا:

- هذا ليس فتدا -

هتف الرجل متوسلا:

- من سيطعم الصغار ، ادخلني لوجه الله -

صاح الصوت : انتظر -

قوي الرجل فجأة وتماسكت يده على الباب ولم يابه بالمطر الذي يغمره ولا بالريح التي تشلج جسده وانتظر صوت الباب وهو ينفث - لكن الباب لم ينفث -

( ذهب ليحضر المفاتيح - لا بد انها في غرفته - سيحضر المفاتيح ) انطلقا النور وبدأ الوقت الثفيل يفقده توازن جسده - وكأنت ساقه الصحيحة مثقلة ومتعبة لا تستطيع الاستقامة - هوى الرجل على ركبتيه وجمع قبضة يده واخذ يضرب الباب ويصرخ متوسلا:

- افتح الباب - افتح الباب سأمت -

ولم ينفث الباب -

وشع فوق المياه ضوءان قويان يبرقان وصوت سيارة سريعة - كان الرجل ممددا عندما توقفت السيارة وانفتحت ابوابها وقفز منها اربعة رجال - وجهوا نحوه اسلحتهم وقرع احدهم الجرس هاتفا:

- الشرطة -

اضيئت انوار عديدة وخرج رجل سمين يرتعد  
وهو يمسك مسدسا بيده • قال للشرطة :

— كان اللص يقرع الباب عندما خابرتكم •

التفت أعين الشرطة على الرجل الممدد وسأله  
المفوض •

— هل هو هذا ؟

تقدم السمين يحذر ناظرا اليه وقال خائفا •

— انه هو • انه هو •

رفع رجال الشرطة الرجل الملتصق بالطين وادخلوه  
سيارتهم وكان مغنيا عليه ، وضموه بيتهم ،  
وانطلقت السيارة • التفت المفوض الى الشرطة  
قائلا :

— سيموت من البرد •

وكان نثار المطر يغمر زجاجات نوافذ السيارة  
المقفلة الدافئة المسرعة •

## — زوجة المحارب —

عادت زوجة المحارب من مقر القيادة صامتة ،  
متذكرة وجه ضابط الاستعلامات وهو يستثنيها من  
صرامته :

— لا اخبار جديدة •

( لا اخبار جديدة )

( لا اخبار جديدة )

( لا اخبار جديدة )

كان منزلها مغلقا ، وعندما فتحت ، وجدت طننها  
الصغير جالسا بجانب جدته العمياء وهي تقص له  
حكاية قديمة •

قطعت الجدة حكايتها وسألتها : ماذا يقولون ؟

وضعت الزوجة حقيبتها على المنضدة واجابت  
بتنهدي •

— لا اخبار جديدة •

تعلق الصغير بها سائلا : ماذا جلبت لي ؟

اخرجت من جيب معطفها كيسا صغيرا من الحلوى ووضعت في يده .

عندما تكون وحدها ، وتنجو من عيني الطفل المتعلقين بها تبكي بصمت ويمثل زوجها الضابط بين دموعها .

انه حاضر باستمرار في الغرفة . كانت ملابسه المعلقة واحذيته ودواته وعطوره وكتبه ومتفوضة سيارته تجمله ينتقل بينها ثم يوجه لها كلمة بين وقت وآخر وضحكته المرتفعة تهز خمودها .

انه يرتدي ملابسه ثم يضع لمسة من المطور على شاربيه ويجلس على الكرسي يدخن . يتحدثان معا . يلتقط الطفل ويضعه على فخذه . يداعبه ويرقصه ثم يهبط ويقدم الطعام لأمه المميأ .

كم كانت تفزع عندما يعتمد ليلة عن منزله ؟ فقد اعتادت وجوده الغريب الأسر .

( لا اخبار جديدة ) .

عاد الضابط قبل اسابيع من عمله وقال لها - سنذهب الى الجبهة .

وكانت حماسه وبهجه قد خففا قلقها وجعلها تتساق خلف حماسه وهو يحدثها عن النصر . وعن الوقت الذي حان للثبات .

وبدا يجمع ادوات حلاقته واستبدل ملابسه ثم حمل حقيبة صغيرة وقبلهم جميعا وهو يضحك .

قالت إحدى جاراتهم : سمع ابن عم زوجي وهو يتحدث من راديو العدو في مقابلات الاسرى وينعت بتحياته لكم . وأخذت امرأة أخرى تطرق الباب مستبشرة : سمع ابني بأذنه . وقيل لهم انه شوهد وهو يتحدث في تلفزيون العدو وان صورته نشرت مع مجموعة من الاسرى . لكن اسمه لم يرد في قوائم الصليب الاحمر .

كانت المرأة تنصت والامل يشع على وجهها متذكرة البرقية التي تلقتها قبل أيام كثيرة ( وقع اسرا بيد العدو وسريته العسكرية على استمداد لاجابة جميع طلباتهم )

ذات مساء حضر أحد الجنود وقال انه كان يعمل تحت امرته . وفي ذلك الصباح اصيب بشظية صغيرة في كتفه فحملته الى الطبيب العسكري فعالجه وطلب منه الذهاب الى دمشق للاستراحة . فقال للطبيب : هل انتهيت ؟ انها لا تؤلمني كثيرا ثم خرجنا وقلت لسائق سيارة القيادة ان يذهب به الى دمشق ، لكنه أمرني بالعودة الى الديابات . ولم استطع مخالفة امره ، وعدنا الى الميدان حيث ركب دبابته من جديد وانطلق الى الامام . وفي الليل عاد اثنان من طاقم الدبابة وقالوا ان الدبابة اصببت وانهم

جميعاً ففروا منها واضطروا تحت ضغط هجوم  
العدو الى الانسحاب وانهما شاهدا الضابط ينقذ  
الى الجهة اليسرى ، لكنهما لا يعلمان ماذا حل به .  
نتظر قدومه طوال الليل ، لكن العدو تقدم ووصل  
الى المنطقة التي اصبحت فيها دبابته . ولم تعلم عنه  
شيئاً منذ ذلك الحين .

كانت الجدة العمياء جالسة ، صامتة تستمع الى  
رنين الجرس . قالت للزوجة .  
— من ؟

قالت الزوجة — انه صديقه . يسأل عن أخسر  
اخباره . وكانت المرأتان تهبان عند سماع صوت  
جرس الباب أو التلفون وكانتا تتوقمان عودته في  
كل لحظة وتحببان اليأس بالاخبار التي تصلهم وبحب  
الحياة .

قالت الجدة — سيعود . قلبي يحدثني انه سيعود  
وكانت الزوجة مبددة في التناقضات وفي الايام  
التي تمضي دون ان يظهر لكنها تحمي أملها بشجاعتها  
قالت : أجل سيعود . واستعرت المرأتان تفكران فيه  
صامتتين ، وتنتظران جرسا يرن .

صدر للكاتب :

١ — الجسد والابواب — قصص — ١٩٦٩

٢ — القناع — قصص — ١٩٧٠

## فهرس

٥	رجل ما .. دون التقاء
٨	افراح
٩	اشراقات
١٢	العنكبوت
١٣	آه
١٤	نور من ورق
١٦	الاختفاء
٢٠	القوس
٥٠	البنادق
٥٢	الجدران
٥٧	الرصيف
٦٧	النهر



٧٠	الشامد
٧١	العلبة
٧٢	العصفور الأسود
٧٣	الشاحنة
٧٧	أضواء
٨٢	الالتحام
٨٧	زوجة المحارب
٩١	صدر الكاتب

